المجلس الاقتصادي والاجتماعي

ملاحظات حول التعليم في ضوء أزمة كورونا

ملاحظات حول التعليم في ضوء أزمة كورونا

استهدفت هذه الورقة تقديم تحليل سريع لواقع التعليم المدرسي والتعليم الجامعي، والتحديات المفاجئة والتي كانت يجب ألا تكون كذلك. والوصول إلى مقترحات لتجاوز هذه التحديات بل تحويلها إلى فرص. ولذلك فإنّ الورقة ستتناول الأبعاد الآتية:

1. التعليم والتعلم الحديث والفعّال على ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة، ومنطلقات القرن الحادي والعشرين.
2. واقع التعليم: التحديات والفرص.
3. الحلول والمقترحات.

أولاً: التعليم والتعلم الحديث والفعّال.

قاد تصوّر الفكر التربوي الحديث إلى فلسفات تربوية جديدة، مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحالي، بعد أن طرحت اليونسكو فلسفتها:

- التعلم لكسب العيش والحياة Learn to be
- التعلم من أجل العمل Learn to do
- التعلم من أجل العيش المشترك Learn to live together
- التعلم من أجل المعرفة Learn to know

جاء ذلك في تقرير ديلور الشهير بعنوان Learning to be، كما طرح مفكرون مهارات القرن الحادي والعشرين، والتي ركزّت على المشاركة والاتصال والتفكير الناقد والتفكير الإبداعي والتنمية المستدامة وغيرها من المهارات المهمة، مثل الاستقلال والتعلم الذاتي والمسؤولية والمستقبل. بعد هذه الطروحات بقيت المدرسة في العالم بشكل عام، وفي الأردن بشكل خاص عند حدود المدرسة كمصنع له مدخلات وعليه أن يحولها إلى مخرجات غالباً ما تكون متشابهة، فلم تعطِ بالاً للأهداف السابقة؛ بل وبقيت على فلسفتها في التعليم الموحد.

لقد طرح علم النفس التربوي الحديث والمدرسة البنائية أفكاراً تدعو إلى تنمية الخبرة، وبنائها لدى المتعلم. وأنّ التعلم هو تغيّر يتم لدى المتعلم نتيجة ما يبذله من جهد ذاتي لا نتيجة ما يقدمه المعلم من تعليم.

لن نتحدث في الاتجاهات الحديثة أكثر من ذلك. لكن ستُبرز هذه الورقة الملاحظات الآتية التي تميز التعليم والتعلم الحديث الفعّال:

1. التكنولوجيا بما تشمله من تقنيات، وتوظيفات في مختلف المجالات وهي عملية تعلم، بما في ذلك التواصل والتفاعل والتخطيط والتغذية الراجعة.
2. ما أنتجته بحوث الدماغ الحديثة من تعليم صديق للدماغ، ومن متطلبات تحفيز الدماغ على التعلم، ينبغي أن يتم توظيفها في عمليات التعلم.
3. مهارات الاستقلال والتعلم الذاتي ومسؤولية المتعلم عن تعلمه، فلسفة يجب أن تؤخذ بالاعتبار.
4. التعليم المتمايز وفق ذكاءات الطلبة المتنوعة، حقّ من حقوقهم يجب مراعاتها.
5. مجتمعات التعلم بما فيها من مهارات التواصل وعمل الفريق، سبيل للتعلم الفعّال.
6. مهارات إنتاج المعرفة وتوثيقها ونشرها وتبادلها وعدم الاكتفاء باستهلاكها، ضرورة لتعليم المستقبل.

هذه أبرز ملامح التعلم الحديث الفعّال، التي تتطلب ما يأتي:

مناهج مدرسية حديثة تراعي كلّ ما سبق، وتتميز بالرشاقة وعدم الحشو والتركيز على المفاهيم بدلاً من المعلومات والحقائق، وعلى المبادئ والقوانين والاتجاهات العلمية والانفتاح الفكري والتعلم الذاتي، وهذا يقودنا إلى مزيد من الحرية في تحليل الواقع التعليمي.

ثانياً: واقع التعليم: التحديات والفرص

أ- واقع التعليم:

ليس سراً، أنّ جميع الأنظمة التعليمية تعاني من متاعب دائمة مثل: نقص المعلمين المؤهلين، جمود الفكر التعليمي، وسيطرة الفكر المحافظ على التعليم _ عالمياً ومحلياً_ وضعف فاعلية الأنظمة في التغير والتكيّف مع المستجدات، إضافة لمشكلات في المناهج والكتب وطرق التدريس والتقويم. هذا الواقع أدّى إلى ما يأتي:

1. عالمياً زاد النفور من المدرسة، وأعلن أهالٍ كثيرون عن رفض إرسال أبنائهم إلى المدارس، وأنّهم سيتعلمون في المنزل عبر أدوات التكنولوجيا الحديثة وتقنياتها، فالمعلومات لم تعد هدفاً وصارت متداولة إلى الدرجة التي يجب أن نعلم أبناءنا مهارات الشك في المعلومات وفحصها، والبحث عن أدلة تدعمها أو تنفيها!!

2. النزاع والصراع والتدخلات الاجتماعية في أمور المناهج والمطالبة بإبقائها كما هي، بل وإغنائها وإرهاقها بنوع من الثقافة لم يعد ملائماً للفكر المستقبلي. ولعّل الحراك المجتمعي الذي تحركه فئة محافظة تخشى الجديد الذي تتطلبه حركة التجديدات التربوية العالمية، والتحكم بصياغة المستقبل المطلوب الاستعداد له وامتلاك متطلباته من مهارات ومعارف واتجاهات، أدلة على صعوبة السير عبر حقول ألغام!!.
3. اعتماد التلقين المباشر، وبقاء المعلم يمارس دوره التقليدي في المسؤولية الكاملة عن إدارة الموقف التعليمي التعلمي أو التفرد بامتلاك وقت الحصة ومعلوماتها وطرق توصيل المعلومات، "مما نمّى" عادات بدأنا نعاني منها بوضوح الآن أكثر من أي وقت مضى!! من مثل:

- الاعتماد الكامل على المعلم؛ فهو الذي يشرح المعلومات ويوزعها ويفسرها ويسهّل على الطلبة طريقة حفظها وتكرارها.
- إضعاف قدرة الطالب على المبادرة، وبقاؤه مستجيباً لما يُطلب منه.
- التزام الطلبة بالكتاب المقرر باعتباره المصدر الوحيد للتعلم.
- تقييم الطلبة وفق قدراتهم على تذكر معلومات الكتاب، بل وإن خروجهم عن هذه المعلومات قد يعتبر مخالفات تخضع للعقوبات.

كان هذا معروفاً بل ومجهولاً لدى الأهالي ولدى الخبراء. فالمعلمون يعملون داخل صفوفهم، لا ندري ماذا يفعلون ولا كيف يفعلون!! نعم لدينا إحساس بالتلقين الشائع في أساليبهم، ولكننا لم نمتلك أدلة على ذلك، حتى بدأنا نلاحظ أداءهم على شاشات الأقنية والمنصات التعليمية.

إذن علينا أن نلاحظ الفروق والتباينات بين الاتجاهات العلمية التربوية الحديثة وبين واقع الممارسات التربوية العملية.

فالاتجاهات الحديثة تسعى للاستقلال والتعلم الذاتي والمسؤولية والتمايز. والممارسات الحالية تؤكد أهمية الاعتماد على المعلم، والتلقين المباشر والتعليم الجمعي. وهذا ما جعل من الأزمة التي نواجهها أزمة مستعصية الحلول، أو صعبة الحلول!

ب- مواجهة النظام التعليمي للأزمة الحالية:

استجاب النظام التعليمي سريعاً للأزمة. وتحرك بسرعة بحثاً عن مواد تعليمية؛ مثل دروس قديمة في التلفزيون التربوي أو معلمين، "يُعتقد أنهم ناجحون" أو عن منصات أهلية أو تجارب مدارس خاصة، وبشكل عام فإنّ الواقع يشير إلى ما يأتي:

1. لم يُعدّ النظام التعليمي نفسه لمثل هذه الأزمات، فالمناهج لم تهتم بالتعلم الذاتي المستقل، ولا على مستوى التدريس، وحتى السياسات التربوية خلت من التركيز على هذه المهارات، فلم يهتم أحد بما يسمى التعليم عن بعد ولا بالتعلم عن بعد، وهذه نقطة نأمل أن يهتم بها مسؤولو المناهج والتعليم والامتحانات.
2. وللإنصاف، فإنّ بعض تجارب المدارس الخاصة ركزّت على التعلم عن بعد من خلال الواجبات البيتية، حيث كانت ترسل الواجب، وتقدّم تغذية راجعة على عمل كل طالب وطالبة. ولكن ذلك لم يرقَ إلى مستوى دروس متكاملة، بل كانت استكمالاً لنشاط مدرسي في معظم الأحيان. فقد أظهرت بعض المدارس الخاصة الجدية وإدماج الطلبة في التعليم المستمر. بما يعكس تفوقها في هذا الجانب، وحسن استغلالها للتقنيات المتوافرة بسهولة لدى طلبتها. وقد يُعزى جزء من هذا التفوق للبنى التحتية التي تتاح للمدارس الخاصة وطلبتها، والتي ربما تفتقر إليها العديد من المدارس الحكومية وطلبتها.
3. اهتم عدد من أعضاء الهيئات التدريسية بالمحاضرات عبر الفيديو كونفرس Video Conference أو التسجيل وكان بعضٌ منهم قد وظفّ تطبيقات تكنولوجية متعددة من مثل Zoom و Skypeوغيرها، وذلك تسديداً لنقصٍ أو لغياب مدرس، لكن مفهوم التعلم عن بعد لم يكن حاضراً بشكلٍ كافٍ في هذا الجانب.

   وقد اتضح خلال الأزمة الحالية أن مهارات التعليم عن بعد، تكنولوجياً وتربوياً لم تكن متوافرة لدى المدرسة والطلبة على حدٍّ سواء.
4. لجأت وزار التربية إلى "الحوزة" فوجدت دروساً سابقة، سارعت إلى إغنائها وتجديدها وأعادت بثها بسرعة لتغطية الفراغ الحاصل عن الانقطاع المفاجئ.
5. وقد نضيف 30% من النجاح إلى مجرد المبادرة سواء من قبل وزارة التربية والتعليم أو من الجامعات، الأمر الذي أحدث تغيراً واضحاً في ثقافة المجتمع ودرّب الطلبة وأولياء الأمور على توظيف التكنولوجيا وقبول هذه النقلة التغييرية التي كانت ربما تحتاج إلى سنوات لإحداثها بدون هذه الأزمة.

كما لجأت الوزارة إلى استخدام منصات، والعمل مع شركات، كان يعتقد أنّها مختصة بهذا النوع من التعلّم، ومع أننا لسنا بصدد تقييم هذا العمل، إلا أنّ الملاحظات تشير إلى أنّ ما تم تقديمه: كماً ونوعاً لن يغطي الحاجة الضخمة لدى الميدان التربوي الواسع، حيث لا يمكن تقديم مئات الدروس الجديدة أسبوعيا!!

وكانت ملاحظات المهتمين حول هذا الواقع تشير إلى:

1. إنّ حجم العمل المطلوب لا يمكن تغطيته من مصدر مركزي واحد، وكان لا بدّ من وضع خطة بحيث تقوم كل مديرية تعليم بدور ما في إعداد الدروس، وصولاً إلى المدرسة التي تعتبر هي الموظف الأمثل والمباشر للتعلم عن بُعد (معلم وطلبة).
2. إنّ مهارات المعلمين الذين قدموا تعلماً عن بعد، لم تكن فاعلة، لا في مجال التعليم عن بعد، ولا التعليم المباشر، وإنّ نظرة سريعة لما يُقدَّم في التلفزيون التربوي تكشف عن أنّ المعلمين الذين تم اختيارهم لهذا العمل يؤدون أعمالهم كما لو كانوا يتحدثون مع أنفسهم، ويكتبون ما يتحدثون به على السبورة وبخط غير مقروء. ومن تابع بعض الدروس أخذ انطباعاً بأنّهم نادراً ما شاهدوا وجه المعلم أو أحسّو بلغة الجسد التي يظهرها.
3. إنّ التعلم عن بعد مهارات تختلف عن مهارات التعليم المباشر، ومن نجح في التعليم المباشر ليس بالضرورة سينجح في التعلم عن بعد!

   فمعلم التعليم عن بعد، يحتاج إلى معرفة مهارات التكنولوجيا، فالكاميرا مثلاً لا تنقل الصورة بل تنقل الروح والإحساس والرؤية والحماسة ولغة الجسد وقدرة المعلم على التمثيل والدراما، حتى ما يفكر به، وما يظهره من إمكانات بل وما يخفيه من إمكانات!!

   إنّ من استدعتهم الوزارة من معلمين ومعلمات، ممن اعتقدت أنّهم ناجحون (وربما كان بعضهم من غير الناجحين بحسب آليات الوزارة في الاختيار) افتقدوا إلى مهارات الإعلامي الذي يحاول الوصول إلى أهدافه، وهذا متوقع. فمن يشاهد محاضرة أستاذ جامعي أو مدرس في التعليم الثانوي يدرك مدى الحاجة إلى التدريب التكنولوجي.
4. وهذا الوصف الموضوعي للواقع لا يمنع أنّ هناك تجارب ناجحة من معلمين، وأنّ المعلمين بحاجة إلى تدريب حقيقي نظري وعملي ليصبحوا من فئة الناجحين والمؤثرين.

جـ- تحديات أساسية:

يمكن مما سبق تلخيص التحديات الأساسية كما يأتي:

1. شهد هذا العام بداية مضطربة، ونهاية مضطربة، فلم يشعر الطلبة باستقرار التعليم في عامهم الدراسي، لذلك فالتحدي الأول: نفسي يتعلق بإحساسهم بالقلق والتوتر وعدم الاستقرار.
2. ضرورة استكمال التعليم ومواصلة استمرار التعلم، فالأزمة كانت مفاجئة، ولذلك فإنّ التحدي الثاني: كيف يستمر التعليم والتعلم دون أن نكون مستعدين لذلك؟
3. لم نجد في تراثنا المدرسي أو الجامعي خبرات سابقة بالقدر الكافي يمكن البناء عليها! ولذلك كان التحدي الثالث: كيف نبدأ من هذه القاعدة المتواضعة؟
4. الإصرار على تقديم نفس المنهاج: نوعاً وحجماً، مع أنّ أدوات العمل المتاحة لا توفر حلاً لذلك. فالتحدي الرابع: كيف نكيف المنهاج وفق الواقع الجديد؟
5. السعي نحو النجاح الكامل دون تقديم تنازلات - يجب أن نقدمها - وذلك سعياً إلى أفضل المتاح للوصول إلى حدّ الأمان لا إلى النموذج. فالتحدي الخامس: ما التنازلات التي يجب أن نقدمها لتنفيذ العام الدراسي بشكل مرضٍ؟
6. يضغط امتحان التوجيهي - بما أعطيناه من قدسية وهالة- على أعصاب الجميع، لذلك فالتحدي السادس: كيف نقدم امتحان التوجيهي في موعد يسمح للطلبة بالالتحاق بموسم العام الجامعي الجديد؟ إضافة إلى التحديات الناتجة عن لوجيستيات الامتحان نفسه.

طبعاً هذه التحديات تتطلب حلولاً وتخلق فرصاً، علماً بأنّ لكل حل أو قرار جوانبه السلبية والإيجابية. وبشكل عام فإنّ أبرز **الفرص** هي:

- تحويل جزء من الدراسة إلى تعلم ذاتي.
- اعتبار التعلم الذاتي المنزلي جزءاً من العام الدراسي، ويمكن تقسيمه من خلال كتابة الملخصات وإعداد العروض وتصوير فيديوهات لأداء بعض المهارات، وما سميناه عطلة لم تكن كذلك، خاصة أننا تحدثنا عن استمرار التعلم خلال فترة التعطيل.
- تطوير أدوات التدريس واستراتيجياته باستخدام أنماط تدريسية تسمح بالتعلم المتمايز، وإلقاء مسؤولية التعلم على الطلبة أنفسهم من جهة، وبُعد المعلمين عن التلقين من جهة أخرى.
- فرصة أخرى لتطوير عملية تقويم أداء الطلبة وعدم اعتمادها على اختبارات كتابية.

- تطوير الكتب المدرسية بما يسمح بالتعلم الذاتي.
- العمل بجدية على تطوير وحدات أو مهارات ودروس من وحدات الكتاب (كتاب الطالب)، ودليل المعلم وفقاً لمنحى التعلم عن بعد، والعمل على تمكين المعلم من أداء ذلك في الأوقات الطبيعية وأوقات الأزمات، وهذا بالتأكيد سيقود إلى تمكين الطلبة وتحسين أدائهم، كما يُفيد من تنويع أساليب التقييم وأدواته.

ثالثا: الحلول والمقترحات:

تنبثق الحلول من تحويل التحديات إلى فرص، واستثمار الفرص في إيجاد بدائل وخيارات ومشروعات جديدة. ولذلك تتقدّم هذه الورقة بالمقترحات الآتية:

مقترحات بعيدة المدى، وتتمثل بـ:

- تطوير المناهج والكتب المدرسية، وبما يخدم التعلم عن بُعد بطرائق حديثة ناجحة.
- تطوير استراتيجيات التدريس، وتضمينها في أدلة المعلمين وتدريبهم عليها تدريباً تطبيقياً.
- تطوير استراتيجيات التقويم، وتضمين كتب الطالب وأدلة المعلمين ما يترجمها عملياً وتدريب المعلمين على ذلك، إضافة إلى تدريب مشرفي التقويم في إدارة الامتحانات في وزارة التربية والتعليم عليها.
- تطوير سياسات تربوية جديدة، تدعم هذه الاتجاه وتتابعه.

لن نتحدث عن هذه المقترحات، لأنّ اهتمامنا الرئيسي هنا **على إيجاد حلول آنية للأزمة**، ونعرض تالياً لأبرزها:

1. اعتماد الجامعات لمواد دراسية مكافئة لمواد دراسية في خطة الطالب/ الطالبة تطرحها جامعات ومراكز علمية عالمية خبيرة بآلية التعلم عن بعد.
2. إنشاء الجامعات قنوات تعليمية تتناسب وتخصصاتها المعتمدة على منصة يوتيوب بحيث يقوم أساتذة الكلية بتحميل ندواتهم ومحاضراتهم المصورة عليها، ويُطلب من الطلبة متابعتها، وعقد جلسات متابعة لها على شكل مهام وأنشطة كي تدخل به مجال تقييم الطلبة.

3. تشكيل لجنة تربوية عليا لإدارة الأزمة الحالية وتقديم حلول وإجراءات. ويقترح أن تتشكل اللجنة من جميع الجهات الحكومية والخاصة ذات العلاقة، إضافة إلى عدد من الخبراء في التربية من ذوي الفكر التجديدي الخلاق.
4. تشكيل لجان مشتركة من التربويين ومختصي المواد، لإعادة بناء الكتاب المدرسي حول وحدتين أو ثلاث وحدات أساسية.
5. تكليف لجنة تربوية بوضع هدفين إلى ثلاثة أهداف تعكس غايات المنهاج ومهاراته الأساسية؛ لتكون أساساً في التركيز عليها في هذه المرحلة وفقاً لاتجاهات التعلم عن بُعد.
6. إعلان الأهداف السابقة أمام الطلبة لتكون هادية لهم في تعلمهم واستعدادهم للامتحان، وخاصة طلبة الصف الثاني عشر.
7. بناء جدول مواصفات لكلّ مادة أو كتاب وفقاً للتصور الوارد في البندين (2 و3) لتكون أساساً في تقويم الطلبة.
8. اقتصار أسئلة الامتحان على الاختيار من متعدد، مع إبقاء الفرصة لجزء من العلامات لبحث أو تقرير أو مُلخص.

- **حلول واقتراحات لامتحان التوجيهي:**

1. الإسراع في حصر الأهداف والغايات الرئيسية لكلّ مادة دراسية.
2. تجميع المواد الدراسية الأكثر ارتباطاً في مجموعتين أو ثلاث مجموعات، أو تقسيمها حسب مواد مشتركة ومواد إجبارية ومواد اختيارية، لتكون أوراقاً امتحانية:

- العلوم والرياضيات
- اللغات
- التربية الإسلامية والمواد الاجتماعية.

بحيث لا تدخل الورقة الثالثة في حساب المعدل، أو تقدم عن بعد!!

3. وضع جدول مواصفات لكلّ ورقة.
4. الاتفاق على لوجستيات الامتحان وفنياته: المكان والزمان ونوع الأسئلة.

- **مزايا هذه المقترحات:**

1. إنّها مقترحات تقدم تنازلات مقبولة وربما تطويرية ولا تمسّ جوهر عملية التعلم.
2. إنّها صديقة للتعلم الذاتي والتعلم المستقل.
3. إنّها تفتح الطرق أمام تطوير التدريس والامتحانات والمناهج المدرسية أو التعليم بشكل عام.